البعثة العلمية

ظروف بلاد المغرب قبل البعثة العمرية 99-101 هـ

بعد أن أتم العرب فتح بلاد المغرب و صيروه مصر إسلاميا أصبح تابعا لمركز الخلافة الإسلامية بدمشق . صحيح أن بعض المصادر و الأبحاث التاريخية تحدثت أن اسلمة بلاد المغرب – لكن يبدو ذلك نظريا فقط – و إلا كيف تفسر بقاء بعض القبائل البربرية تدفع الجزية بمعية الاقليات المجتمعية من اليهود و النصارى (أفارقة و بزنطيين) إلى جانب ذلك فإن غالبية المجتمع المغربي لم يتعمقوا بعد في فهم مقاصد الشريعة و أحكامها و حسبنا في ذلك ما أكده ابن غدارى المراكشي (ت بعد 712 هـ) ، < قوله لا زالت الخمر في بلاد المغرب حلالا حتى جاءت البعثة العمرية > و سرد ذلك في تقديري يعود إلى الأسباب التالية :

1- الطبيعة الطبوغرافية لبلاد المغرب لم تساعد الفاتحين الأوائل للتغلغل في الوسط القبلي على محدودية تحصيلهم العلمي
2- أن معظم الفاتحين كانوا من الجند المقاتلة و أن عددهم لم يكن كافيا لتأطير كل الجغرافيا خاصة إذا علمنا أن عددا كبيرا من هؤلاء فضلوا الاستقرار بالأندلس فجاءت البعثة العلمية لتؤازر جهود أوائل الفاتحين أمثال عقبة بن نافع ـ مهاجر بن أبي دينار ـ حسان بن النعمان ـ موسى بن نصير في تثبيت أحكام الشريعة في نفوس البربر

أهداف البعثة : يستشف من خلال ما ذكرته المصادر التاريخية أن عمر بن عبد العزيز (99 - 101 هـ) كان يطمح من خلال هذه البعثة إلى تحقيق ما يلي

سياسيا : إنهاء سياسية الإقصاء و التهميش الذي كان يعاني منها البربر من قبل بعض الولاة

اقتصاديا : رفع المعاناة عن الساكنة بفعل الضرائب المجحفة التي أثقلت كاهلهم

اجتماعيا : محو الفوارق الاجتماعية و إحلال مبدأ المساواة و الإخاء بين العرب و البربر ، و يستشف ذلك من خلال الخطاب الذي وجهه عمر بن عبد العزيز إلى ولاة المغرب قوله < أن كل من كانت لديه لواتية فليخطبها من أبيها أو يرجعها إلى أهلها >

دينيا وثقافيا : نشر الإسلام و اللغة العربية و الثقافة الدينية و لأجل ذلك إختار عشرة من كبار الفقهاء و التابعين و هم على التوالي :

1- أبو عبد الرحمن عبد الله بن يويد المعافري
2- أبو مسعود سعد بن مسعود التنوخي
3- أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي
4- أبو تمامة بكر بن سوادة الجزاني
5- أبو سعد جعثل بن عاهان الرعيني القتباني
6- اسماعيل بن عبيدة الله الأنصاري (أبي المهاجر المخزومي)
7- جبان بن أبي حبلي القرشي
8- طلقق بن جابان أو جعبان الفاريسي
9- وهب بن حي المعافري
10- إسماعيل بن عبد الله الأنصاري

ينظر تراكم هؤلاء في كتاب أبي العرب ـ طبقات علماء إفريقية ـ الدباغ معالم الايمان المالكي رياض النفوس

و من جهته تشيد كتب التراجم و الطبقات بالمكانة الدينية و الاجتماعية لهؤلاء الفقهاء الذين عملوا وفق ما هو مخطط لبعثتهم مما مكن المغاربة من تحقيق ما يلي :

أولا : التعمق أكثر و فهم أحكام الشريعة و مقاصدها من خلال تعدد مجالس العلم و حلقات الدروس التي كانوا يعقدونها في المساجد

ثانيا : الاشراف على تكوين جيل من طلبة العلم المغاربة في الكتاتيب بتحفيظهم القرءان الكريم و الحديث النبوي الشريف و نشر عمل أهل مكة و المدينة مذهب أهل السنة و الجماعة مما ساعد لاحقا في انتشار المذهب السني المالكي ببلاد المغرب

حصيلة و تقييم:

لا جدال أن البعثة العمرية قد نجحت إلى أبعد حدود في تمكين المغاربة من التعمق أكثر في فهم مقاصد الشريعة و أحكامها و التقليل من معاناة البربر على الصعيد السياسي من خلال سياسة الوالي اسماعيل الملقب بتاجر الله إلا أن ذلك لم يمنع من استمرا تدفق الأفكارالخارجية و بخاصة الصفرية و الإباضية إلى جانب المذاهب الكلامية كالمعتزلة و الأشاعرة ، مع استمرا المعاناة الاجتماعية بادرت العديد من القبائل المغربية و بخاصة زناتة إلى تبني أفكار الخوارج التي كانت سببا في تمردها عن السلطة المركزية بإعلان الثورة